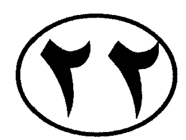
قصصُ الأنبيَاءِ للأطفَالِ



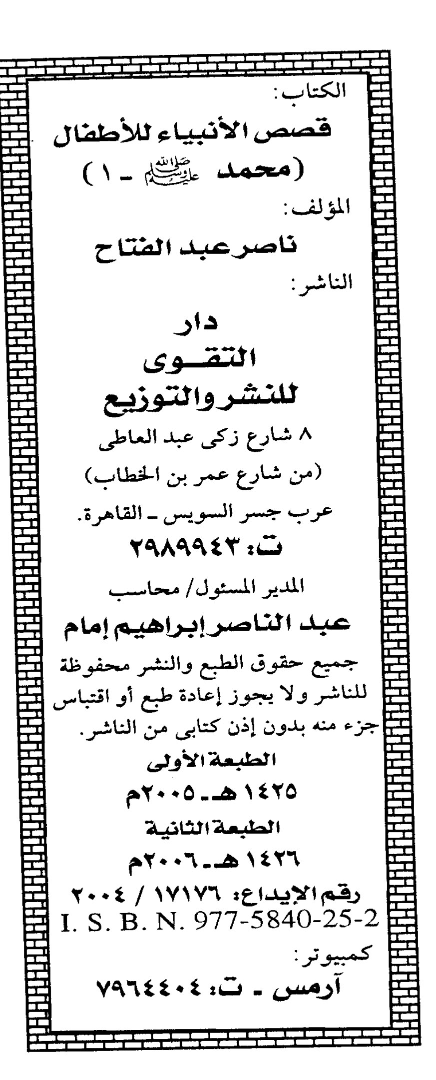
مُحَمَّد

(صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم)

الجزء الأول

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:

قصص الأنبياء للأطفال

(محمد ﷺ - ١)

المؤلف:

ناصر عبد الفتاح

الناشر:

دار

التقوى

للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى

(من شارع عمر بن الخطاب)

عرب جسر السويس - القاهرة.

ت: ٢٩٨٩٩٤٣

المدير المسئول/ محاسب

عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤

I. S. B. N. 977-5840-25-2

كمبيوتر:

آرمس - ت: ٧٩٦٤٤٠٤

بِئرُ زمزمَ

استيقَظَ عبدُ المطَّلب بنِ هاشمٍ سيدُ قريشٍ وقد اشتَدَّ به القلقُ، وتردَّدَ في أذنه صوتُ الهاتفِ الذى أتاهُ فى نومه قائلاً: احفُرْ زمزم .. احفُرْ زمزمَ .. إنهَا تسقى الحجيجَ الأعظَمَ.

ردَّدَ عبدُ المطَّلب: زمزمَ .. إنهَا العينُ التى تفجَّرتْ تحتَ قدمَى جدِّى إسماعيلَ، فصارتْ بئرًا تروى الحجَّاجَ، لكنَهَا رُدمتْ ولمْ يعرفْ أحدٌ مكانَهَا.

أشْرَقَ وجْهُ الرجُلِ منَ الفَرحِ، لأنَّ الهاتِفَ حَدَّدَ لَهُ مكانَ البئرِ، فقامَ وحملَ معْوَلَهُ وانْطَلَق معَ ابنه الحارثِ إلَى المكانِ الموصُوفِ، وأخَذَ يحفرُ بعزيمَةٍ قويَّةٍ حَتَّى ظَهَرَتْ آثارُ البئرِ.

كَبَّرَ عبد المطَّلبِ وصاحَ فَرِحًا، فالتفَّ قومُ قريشٍ وصاحُوا: يا عبدَ المطَّلبِ .. إنهَا بئرُ أبينَا إسماعيلَ .. نريدُ أنْ نشتَركَ مَعَكَ فى حفرِهَا، قالَ عبدُ المطَّلبِ: لقدْ خصنى اللهُ بهذَا الأمرِ فدعُونى وشَأْنى.

نظرَ القومُ إلَى الحارثِ وَسَألُوا عَبْدَ المُطَّلبِ: كيفَ يمكنُكَ حفرُ البئرِ وليسَ معَكَ سوَى ولدٍ واحدٍ؟!

لجأ عبدُ المطَّلب إلَى ربِّه ونَذرَ لئن رزقَهُ بعَشَرة أولادٍ يساعدونهُ ويحمونَهُ ، فإنَّهُ سيذبحُ أحدَهُمْ قربَانًا للَّه .

مرت السنواتُ سريعًا ، وصَارَ لعبدِ المطَّلب أولادٌ عَشَرةٌ يساعِدونَهُ ، فجمعَهُمْ وأجرَى بينهُمْ قُرْعَةً تنفيذًا لنذرِه ، وتمَنَّى ألاَّ تقعَ القرْعةُ عَلَى عبدِ الله أحبِّ أبنائه إلَى قلبه .

مكثَ القومُ فى ترقُّبٍ ، ومرتِ اللحظاتُ بطيئَةً ، وأخيرًا وقعتِ القرعَةُ عَلى عبدِ اللَّه ، تناولَ عبدُ المطَّلب السكينَ فاعترضَهُ رجَالُ قريشٍ ، وأوْصَوهُ أنْ يذهَبَ إلَى كاهِنَةٍ فى الحجَازِ ، فرُبَّمَا يجدُ حلاًّ عندَهَا .

ورحلَ القومُ إلى كاهِنَةِ الحجَازِ ، فقالَتْ : ارجِعُوا إلَى بلادِكُمْ ، وقرِّبُوا عبدَ الله وَعشْرًا منَ الإبلِ ، ثُم اجْرُوا القرعَةَ فإنْ أصابتْ عبدَ الله فزيدُوا عَدَد الإبلِ حَتَّى يرضىَ ربُّكُمْ ، ويقبَلَ الإبلَ .

قرَّبَ عبدُ المطلب عَشْرًا منَ الإبلِ فأصابَت القرعَةُ عبدَ الله . . أضافَ عَشْرًا أخرَى فوقَعَت القُرعَةُ عَلَى عبدِ الله . . ظَلَّ الرجُلُ يزيدُ الإبلَ حَتى بلغَتْ مِائَةً ، فوقَعتْ القُرْعَةُ عَليْهَا ونَجا عبدُ الله .

ذبَحَ سيدُ قريشٍ الإبلَ وافتَدى ابْنهُ ، كَما افْتَدى اللهُ تعالَى نبيَّهُ إسماعيلَ بكبشٍ عظيمٍ .

وأصبحَ أهلُ مكّةَ يتحدثُون عَن قصة فداء عبد الله ، وتمنّتْ نسَاءُ قريشٍ أنْ يتزوَّجْنَهُ ، ولكنَّ أبَاهُ زوّجَهُ آمنةَ بنتَ وهْبٍ ، وكانتْ أعظمَ نساءِ قريشٍ نسبًا وشرفًا .

أصحابُ الفيلِ

توافدَ الحجاجُ إلَى بيتِ اللهِ الحرامِ ، وطَافُوا حولَهُ وارتفعَتْ أصواتُهُمْ بالنّداءِ والتكبيرِ : لبيكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ .. لبَيْكَ لاَ شريكَ لَكَ لَبَّيكَ .

حلَّقَتْ أسرابُ الحمامِ حولَ الكعبَةِ ، وسادَ جوٌّ منَ الأمَانِ لَمْ يقطَعْهُ سوى صوتِ رجلٍ يَجرِى ويصرُخُ فِى فَزَعٍ : أبْرَهَةُ قادمٌ يا قَوْمِ .. أبْرَهَةُ قَادمٌ .

ارتَسَمَ الفَزَعُ عَلى الوجوه ، بينَمَا وقفَ الرجلُ يلتقطُ أنفَاسَهُ ، ثُم قالَ : إنَّهُ قادمٌ فوقَ فيلٍ ضخمٍ وخلفَهُ جَيْشٌ عظيمٌ كَىْ يهدمَ الكعْبَةَ .. بَكَتِ النساءُ والتفَّ الرجَالُ حولَهُ يسألُونَهُ عَنْ عددِ الجيشِ والمكانِ الذى وَصَلَ إلَيْه .

وكَانَ أبْرَهَةُ مَلِكُ الحبشَةِ قَد اغتاظ منْ حَجِّ العربِ للكعبةِ ، فبنىَ بيتًا فخمًا وزخرفَهُ بالذَّهَبِ والماسِ والياقوتِ وأطلقَ عليْه

الْقُلَّيْس .. دَعَـا أبرهَةُ العـرَبَ إلَى الحجِّ لِلْقُلَّيْسِ ولكنَّ أحـدًا لَمْ يلتفتْ إلَيْه ، بَلْ سَخرُوا منْهُ فَأقْسَمَ لَيَهدمَنَّ الكعبةَ ، أعَدَّ أبرهَةُ جيشًا عظيمًا يتقدمُهُ فيلٌ هائلُ الضَّخَامَةِ .

انطلَقَ الجيشُ يهُزُّ تلالَ الصحراءِ ، ولَمْ تتمكنِ القبائلُ العربيَّةُ منْ إيقافِه ، وحينَ اقتربَ منْ مكَّةَ استولىَ عَلى مائتَيْ بعيرٍ لعبدِ المطلبِ بن هاشمٍ ، وقالَ أبرهَةُ لأحَدِ جنودِه :

ـ اذهبْ إلَى سيدِ مكَّةَ وأخبرْهُ أنَّنى لَمْ آتِ لحربِهم ، وإنَّما جئْتُ لِهَدمِ البيتِ .. انظُرْ إليهِ فإنْ رَفَضَ حربَنَا فأتِنى بِهِ .

أسـرَعَ الجندىُّ إلَى مكَّةَ ، وأبلَغَ عبدَ المطلبِ بن هاشمٍ سيدَ قريشٍ برسالَةِ أبرهَةَ واصطَحَبَهُ مَعَهُ .

أحسَّ أبرهَةُ بهيبةٍ شديدةٍ حينَ رأى عبدَ المطلبِ ، فنزَلَ عَنْ عرشِهِ وجَلَسَ بجوارِهِ عَلى بِسَاطِهِ ورحَّبَ بِهِ . تَسَاءَلَ أبرهَةُ .. ما حاجَتُكَ ؟

قالَ عبدُ المطلبِ : حاجَتى أنْ تَرُدَّ علَىَّ مائتَى بعيرٍ أخذتَها .

تعجَّبَ أبرهَةُ وأصابَهُ ذهولٌ شديدٌ ، وقالَ : أتُكلِّمُنى فِى مائتَىْ بعيرٍ وتتركُ بيتًا هُوَ دينُكَ ودينُ آبائكَ جئْتُ كَىْ أهدمَهُ ؟!

قالَ عبدُ المطلبِ : إنِّى أنَا ربُّ (صاحِبُ) الإبلِ ، وإنَّ للبيتِ ربًّا

سَيحميه ، وانصَرفَ عبدُ المطلب بعدَ أن استردَّ إبلَهُ وأمرَ قومَهُ بصعُودِ الجبَالِ حتَّى تنتهِيَ المِحْنَةُ ، ثُم أمسَكَ بحلقَةِ الكعبةِ واستغرقَ في الدعاءِ ولحَق بقومِه.

اقتَحمَ جيشُ أبْرهَةَ مكَّةَ وزحَفَ نحوَ الكعبةِ ، وقبلَ أنْ يصلَ إليهَا أظلمت الدُّنْيَا وحَلَّقَتْ آلافُ الطيورِ في الفضَاءِ وكَانَ كُلُّ طائرٍ يحملُ حَجَرًا ناريًّا صغيرًا في فمِه .

تَسرَّبَ الرُّعبُ إلَى قلوبِ الجنودِ ، ولَمْ تَمضِ لحظَاتٌ إلاَّ وقذفَتِ الطيورُ الأحجَارَ الناريَّةَ فوقَ الجنودِ فهَلكَ الجيشُ في الحالِ ، وخَرَّ فيلُ أبرهَةَ صَريعًا وانتهتْ أسطُورةُ أبْرهَةَ .

كَبَّرَ أهلُ مكَّةَ والتفُّوا حول كعبتهِمْ وأقامُوا الأفراحَ ، وعلَّقُوا الزينَات ابتهَاجًا بنَصْرِ الله تعالَى .

قالَ تعالَى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥** ﴾ [الفيل]

مـحـمَّدٌ اليتيمُ

عاشَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المطلبِ مَعَ زوجَتِه آمنةَ بنتِ وَهْبٍ عدةَ شُهُورٍ تُرفرِفُ عليهِمَا السعادَةُ ، ثُم خرجَ فِي تجارَةٍ إلَى الشَّامِ ، وعندَ عودتهِ أصابَهُ المرَضُ.

مكثَ عبدُ اللهِ فِي المدينةِ حَتَّى يأخُذَ بعضَ الراحَةِ ويبرأَ مِنْ مرضِهِ ، لكنَّهُ مَا لَبثَ أنْ فارَقَ الحياةَ وعُمرهُ خمس وعشرونَ سَنَةً .

رحلَ عبدُ اللهِ وتركَ زوجَتَهُ حَامِلاً فِي الشهْرِ السادسِ .. أصابَتْ آمنَةَ صَدمةٌ شديدةٌ ، ولَمْ يُخَفِّف عنْهَا سوَى الجنينِ الذى تحملُهُ والذى تنتظرُ وِلادَتَهُ فِي شَوقٍ شديدٍ ، وكانتْ تَرَى فِي منامِهَا كأنَّ نوراً يخرجُ مِنْهَا فيُضِيءُ قُصُورَ الشامِ .

مرَّتِ الأسَابيعُ ببُطْءٍ ، وحانَتْ لحظَةُ الولادَةِ وخرجَ محمدٌ إلَى الدنيَا يومَ الاثْنَيْنِ الثانى عَشَرَ مِنْ رَبيعٍ الأوَّلَ فِي عامِ الفيلِ.

انطلقَتْ جَاريةُ آمِنةَ تُبَشِّرُ عبدَ المطلبِ فأسرعَ إلَى البيتِ وهُوَ يكادُ يطيرُ منَ الفرحِ وحملَ محمداً وقبَّلَهُ ، ثُم دخلَ الكعْبَةَ وقامَ يدعُو اللهَ ويشكُرُهُ .

وأقبلتِ المراضِعُ إلَى قُريشٍ ، وكانتْ عادَةُ أهلِ مَكَّةَ أنْ يعطِينَ

أطفالَهُنَّ للمراضعِ كَي يُرْضِعْنهُمْ بعيدًا عَنْ جَوِّ مكَّةَ الشديدِ الحرِّ .

طافَت المراضعُ بالبيُوتِ وحينَ علِمْنَ أنَّ محمدًا يتيمٌ انصرفْنَ عنهُ ، لأنَّهُ لاَ أبَ لَهُ ينفقُ بسَخاءٍ ويُقدِّمُ الهدَايَا .

أحسَّت المرضعَةُ حليمةُ السَّعْديَّةُ بشيْءٍ يجذبُهَا إلَى محمدٍ .. نظرتْ حليمةُ إلَى حمَارِهَا الأعرجِ ونَاقتِهَا الهزيلةِ واتجهتْ نحوَ محمدٍ ، ومَا إنْ حملَتْهُ حَتَّى أحسَّتْ براحَةٍ شديدةٍ ، وكأنَمَا انتهَتْ مَشَقَّةُ السَّفَرِ .

رَكِبَتْ حَليمةُ حمَارَهَا الأعْرَجَ ، فإذَا بهِ ينْطلقُ فِي خِفَّةٍ ورَشَاقةٍ وكأنَّمَا دَبَّتْ فيهِ قوةٌ جَبَّارةٌ ، وسَبقَتْ حليمَةُ قومَهَا وَسْطَ نظَرَاتِ التَّعَجُّبِ والذُّهُولِ .

أحسَّتْ حليمةُ بالعَطَشِ ، فمدَّتْ يَدَهَا إلَى ضَرْعِ ناقَتِهَا الهزيلَةِ فإذَا بِهَا تُدرُّ لبنًا غزيرًا فارتَوى الجميعُ .

أدركَتْ حليمةُ أنَّهَا أخذَتْ نَسْمَةً مبارَكَةً ، ولذلكَ حَلَّ عليهَا الخيرُ والبركَةُ ، وانتشرَ الخِصْبُ فِي أرضِهِمُ المجدبَةِ .

عاشَتْ حليمةُ فِي الرخَاءِ حتَّى انتهَتْ فترةُ الرَّضَاعَةِ واضْطُرتْ أنْ تُعيدَ محمدًا إلَى أمِّهِ وهِيَ تتمنَّى ألاَّ تُفَارِقَهُ .

مكثَ محمدٌ فى أحضانِ أمِّه ، ولَمَّا بلغَ ستَّ سنينَ اشْتَاقَتْ أمُّهُ إلَى زيَارةِ زوْجِهَا عبدِ الله فرحَلَتْ إلَى يثْربَ ، وهناكَ شَعَرتْ بآلامٍ شديدةٍ ولَمْ تلبَثْ أنْ تُوفِّيَتْ فصارَ محمدٌ بلاَ أبٍ يرعاهُ ولاَ أمٍ تحنُو عليْه .

احتضَنَ عبدُ المطلبِ حفيدَهُ اليتيمَ ، وغمرَهُ بالرعَايَةِ والحنانِ وبلغَ حُبُّهُ لَهُ أنَّهُ كانَ يُجْلسُهُ فَوْقَ البسَاطِ الذى يُوضَعُ لَهُ بجوَارِ الكَعْبَةِ ، ولا يجرؤُ أحدٌ عَلى الجُلُوسِ فَوْقَهُ ، وكانَ كُلَّمَا حاوَلَ أعمامُهُ منعَهُ ، قالَ عبدُ المطَّلبِ : دعُوا ابنى ، فَوَ اللهِ إنَّ لَهُ شَأنًا .

ثُم يربِّتُ عَلى كَتِفَيْهِ ويَمسحُ ظَهْرَهُ بيدِهِ ، ولَمْ تدُمْ تلكَ اللحظاتُ السعيدةُ طويلاً ، إذْ رحلَ عبدُ المطلبِ فاحتضَنَهُ عَمُّهُ أبُو طالبٍ وشَمِلَهُ بالرعَايَةِ والحَنانِ .

كانَ أبُو طالبٍ يأخُذُهُ مَعَهُ فِى أسفَارِه ، وحَتَّى لا يفارِقُهُ وفِى إحْدَى رحْلاتِ الشامِ نزلتِ القافلةُ مدينَةَ بُصْرَى ، وحينَ مرُّوا عَلى صومعَةِ الراهبِ بَحيرا تَلقَّوْا دعَوتَهُ إلَى الطعامِ .

تعجَّبَ القومُ لأنَّ بَحيرَا لمْ يكُنْ يَهتمُّ بهم قبلَ ذلكَ ، لكنهُمْ لَبُّوْا دعوتَهُ والتفُّوا حولَ مائدَةِ طعامِه ، أخذَ بَحيرَا يتابعُ محمَّدًا حتَّى فرغَ مِنَ الطعامِ ، فاقترَبَ مِنْ أبِى طالبٍ ، وقالَ لَهُ :

- ارجعْ بابْنِ أخيكَ إلَى بلده واحْذَرْ عليه اليهودَ ، فإنَّهُ كائنٌ لابْنِ أخيكَ شأنٌ عظيمٌ ، وأسرعَ أبُو طالبٍ عائدًا إلَى مكَّةَ ، وقدْ اشتدَّ خوفُهُ علَى محمدٍ .

محمدٌ يتَزوَّجُ خديجَةَ

نشأَ الشابُّ محمدٌ طاهرًا وفيًّا أمينًا مُحبًا للخيرِ ، فكانَ يعطفُ علَى الفقراءِ ، ويساعدُ المحتاجينَ ، ويطعمُ الجائعينَ ، ويشاركُ في المناسباتِ الحسَنة الخاليَة منَ المنكرَاتِ والخرافَاتِ ، وشبَّ كارهًا للأصنَامِ ممتنعًا عَنِ الخَمْرِ .

أحبَّ أهلُ مكَّةَ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ولقَّبُوهُ بالصادقِ الأمينِ حتَّى إنَّ السيدةَ خديجَةَ بنتَ خُوَيْلدٍ عرضَتْ عليه أنْ يخرُجَ فِي تجارَةٍ لَهَا برِفْقَةِ غُلامِهَا مَيْسَرَةَ .

غادرَ محمدٌ مكَّةَ ، وكانَ الجوُّ شديدَ الحرارَةِ ، وأشعَّةُ الشمسِ تُلْهِبُ الأجْسَامَ ، وإذْ بسحابَةٍ تُظلُّهُ وتحميه منْ لهيبِ الشمسِ ، وفِي الطريقِ اسْتراحَ محمدٌ تَحتَ شجَرةٍ بجوَارِ صَوْمعَةِ راهبٍ ، نادَى الراهبُ مَيْسَرةَ وقَالَ متعَجِّبًا : مَا نَزَلَ تحتَ هذهِ الشَّجَرةِ قَطُّ إلاَّ نَبِيٌّ .

استأنفَ محمدٌ رحلَتهُ وباعَ بضاعَتهُ بربْحٍ وفيرٍ ، ثُم قَفَلَ عائدًا إلَى مكَّةَ . وكَمْ كانتْ دهشَةُ خديجَةَ شديدةً حينَ أخبرهَا ميْسَرةُ بمَا رَأى أثْناءَ الرِّحْلَة وبالربْح الوفيرِ الذى ربحَتْهُ التجارةُ .

أُعْجبَتْ خديجةُ بأخلاق محمدٍ وتعلَّقَ قلبُهَا به وتمنَّتْ رؤْيتَهُ دائمًا ، وتحقَّقَتْ أُمنيَّةُ سيدة قريشٍ إذْ خطبَهَا حمزةُ بنُ عبد المطلب لابْنِ أخيه محمدٍ وأقيمَ عُرْسٌ رائعٌ شَهدهُ أهلُ مكةَ احتفالاً بزَواجِ أعظمِ نساءِ قريشٍ شَرَفًا منْ أعظَمِ شبابِ قريشٍ نَسَبًا وأخلاقًا .

عَاشَ الزوجَان في سعادَةٍ ورزَقهُمَا اللهُ بالقاسمِ وزينبَ ورقيةَ وأمِّ كلثومٍ وفاطمةَ وعبدِ الله .

وذاتَ يومٍ اجتمعَتْ قريشٌ لإعَادَة بناء الكعْبَة ، فاشتركَت القبائلُ في البنَاءِ حتَّى وصَلُوا إلَى موضعِ الحجَرِ الأسْود ، وأرادَتْ كُلُّ قبيلَةٍ أنْ تَحْظَى بشرَفِ وضْعِ الحجَرِ الأسْود ، وكادَ أنْ يَنْشبَ قتالٌ بينَ القبائلِ ، لولاَ أنْ وَقَفَ أبو أُمَيَّةَ بنُ المغيرَة ، فقالَ :

يا معشَرَ قريشٍ .. اجعلُوا أوَّلَ منْ يدخُلُ علينَا يحكُمُ بيننَا .

انتظَرَ القومُ ولَمحُوا شابًّا يقتَربُ ، فقالُوا : هذَا الأمينُ ، رضينَا به ، هَذَا محمدٌ .

أخَذَ محمدٌ ثوبًا ، ووَضَعَ فيه الحَجرَ الأسوَدَ بيدَيْه ، ثُمَّ قَالَ :

لتأخُذْ كُلُّ قبيلَة بناحيَةٍ منَ الثَّوْب ثُمَّ ارفعُوهُ جميعًا . رفعَ القومُ الثَّوبَ ، وحينَ بلَغُوا موضعَ الحجَرِ الأسودِ تناولهُ محمدٌ بيده ووَضَعَهُ ثُمَّ بنى فوقَهُ .

نُزُولُ الوَحْي

أقبلَ شهرُ رمضَانَ ، وتلألأَ الهِلالُ فِي سَماءِ مَكَّةَ ، وسَطعَت الأنْوَارُ عَلى سَطْحِ الكعْبة .. حملَ محمدُ بنُ عبدِ الله طعامَهُ وودَّعَ زوْجتهُ خديجَةَ ، وانطَلَقَ إلَى غَارِ حراءَ حيثُ يخلُو بنفْسه وتهيمُ روحُهُ ببدَائعِ صُنْعِ الخالقِ ، ويتفكَّرُ فِي خَلْقِ السَّماوَات والأَرْضِ، ويتفرَّغُ للتعبُّدِ طوَالَ شَهْرِ رَمضَانَ كمَا اعتادَ أنْ يَفعلَ كُلَّ عامٍ.

دَخلَ محمدٌ الغَارَ وقدْ سَرى فِي جسمه نَشاطٌ عجيبٌ ، فَهَا هُوَ قدْ بلغَ الأربعينَ منْ عُمْره ولَمْ يَسْجُدْ لصَنمٍ قَطُّ ، ولَمْ يَذُقِ الخمرَ كقومه .

مكثَ محمدٌ في الغَارِ يصُومُ النهارَ ويقومُ الليلَ ويتأَمَّلُ مخلوقَات الله ، وحينَ أقبلتْ ليلَةُ الْقَدر أخذَ يُنَاجى ربَّهُ ويدعُوهُ فِى رجاءٍ وخشيةٍ ، ثُم التفَّ فِى بسَاطٍ وراحَ فِى النَّوْمِ ، وإذْ به يسمَعُ صَوتًا يقولُ لهُ : اقْرَأْ ..

وكانَ محمدٌ لا يعرفُ القراءَةَ ، فقالَ : ما أنَا بقارِىءٍ .

أحسَّ بشَيءٍ يضُمُّهُ بقوةٍ حتَّى أدركَهُ التعَبُ ، وصَاحَ الصوتُ مرَّةً أخْرَى : اقْرَأْ . . فقَالَ : مَا أنَا بقَارِىءٍ .

ضَمَّهُ الشَّيءُ مرةً ثالثةً ، وقالَ : ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق]

نهضَ محمدٌ وخرجَ إلَى وسْطِ الجَبلِ ، فَسمعَ صوتًا منَ السمَاءِ يقولُ : يَا محمدُ . . أنتَ رسولُ اللهِ وأنَا جبْرِيلُ .

رفعَ رسولُ اللهِ محمدٌ رأسَهُ إلَى السَّمَاءِ ، فرأى جبْريلَ فِي صورَةِ رَجُلٍ تمتدُّ قدمَاهُ فِي أُفقِ السَّمَاءِ .

ردَّدَ جبريلُ ثانيةً : يا محمدُ . . أنتَ رسُولُ اللهِ وأنَا جبْريلُ .

أخذَ محمدٌ ينظُرُ فِي السَّمَاءِ ، وكلَّمَا وقعَتْ عينُهُ علَى جِهَةٍ منْهَا رَأَى جبْرِيلَ وكأنَّهُ يسُدُّ الأُفْقَ كُلَّهُ .

انصرَفَ الوحْيُ ، وعَادَ النبيُّ إلَى زوجَتِهِ وأخبَرهَا بمَا حدَثَ فبَشَّرَتْهُ بأنَّهُ نبيُّ الأُمَّةِ ، واصْطَحبَتْهُ إلَى ابْنِ عَمِّهَا الرَّاهِبِ وَرقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، تَهلَّلَ وجْهُ وَرقَةَ وبشَّرَ محمدًا بأنَّهُ النبيُّ الذى أرسَلهُ اللهُ إلَى الأُمَّةِ .

طَافَ الرسـولُ ﷺ حـولَ الكعبَـة ، ثُم عـادَ إلَى بيتـه ، وغـابَ الوحْيُ عنهُ فترَةً ، فأصَابَهُ حُزْنٌ شديدٌ واشتَاقَ إلَى رؤْيته.

مـرَّتْ أيامٌ ، وخَـشيَ النبيُّ ﷺ أنْ يتـرُكَـهُ ربُّهُ ، فـأخَـذَ يدعُـوهُ ويَرْجُوهُ ، فنَزلَ جبْريلُ بسُورَة الضُّحَى .

قَالَ تعالَى : ﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى]

وصَارَ جبْريلُ ينـزلُ عَلى النبيِّ ﷺ فِي صورَته الملائكيَّة تارَةً ، أوْ فِي صـورَةٍ بشَـرية تَارةً أخْـرى ، وكَـانَ الرسُـولُ ﷺ ينتَـابُهُ إجْـهَـادٌ شَديدٌ ويتغَيـرُ لونُ وجهه ، ويتسَـاقَطُ عَرقُهُ فِي أشدِّ الأيامِ برودَةً حينَ ينزلُ جبْريلُ ، ويَظَلُّ الرسُولُ ﷺ يحرِّكُ لسَانَهُ بآيَات القرآن استعْجالاً لحفْظه فِي قلبه ، وحتَّى لاَ تفُوتَهُ منْهُ كَلمةٌ ، فطَمْأنَهُ اللهُ تَعالَى قائلاً :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ [القيامة]

النبيُّ يدعُو قوْمَهُ

جلسَ النبيُّ ﷺ يفكرُ فِي أمرِ المُهمَّةِ التي كلَّفهُ اللهُ بِهَا ، وتمنَّى أنْ يعُمَّ الإسْلامُ العالَمَ أجْمعَ فيؤْمنُ بِه العَربُ والعَجمُ .

بدأ محمدٌ ﷺ بدعوَةِ أهلِ بيتِه ، فآمنَتْ زوجَتُهُ خديجةُ وابنُ عمِّهِ عليُّ بنُ أبِي طَالبٍ ، وخَادِمُهُ زيدُ بنُ حارِثَةَ .

ودعَا صاحِبَهُ أبَا بكرٍ فآمنَ بِه ، وانطَلقَ يدعوُ أصحَابَهُ فأسْلَم عَلى يديْهِ عثمانُ بنُ عفانَ ، والزبيرُ بنُ العوَّامِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوْفٍ ، وسعدُ بنُ أبِي وقَّاصٍ ، وطلَحةُ بنُ عُبيْدِ اللهِ ، وصَارَ عددُ المؤمنِينَ ثمانيةً .

اتخذَ النبيُّ ﷺ منْ دارِ الأرْقَمِ بنِ أبِي الأرقَمِ بجَبلِ الصَفَا مكانًا لدعْوتِه ، وصَارَ يدعُو النَّاسَ سِرًّا فآمنَ بِه أكثرُ منْ أربعِينَ مُؤْمنًا ، وانتشرَ خَبرُ الدِّينِ الجديدِ فِي مكةَ .

مرَّتْ ثَلاثُ سَنواتٍ منَ الدعْوةِ السريَّةِ ، وأمرَ اللهُ تعالَى نبيَّهُ بإظْهَارِ دينِه ودعوَةِ قومِه جهرًا ، فقالَ : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) ﴾ [الحجر]

صعدَ النبيُّ ﷺ جَبلَ الصَّفَا ، وَصَاحَ بأعْلَى صوتِه مناديًا قريشًا فاجتمعَ القومُ .

قالَ النبيُّ ﷺ : أرأيتَكُمْ لَوْ أخبَرْتُكُمْ أَنَّ خيلاً بالوَادِى تُريدُ أَنْ تُغيرَ عليكُمْ ، أكنتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟

قالُوا : نَعَمْ .. ما جَرَّبْنَا عليكَ إلاَّ صدْقًا .

قالَ النبيُّ ﷺ : فإنِّى نذيرٌ لكُمْ بينَ يَدَىْ عذابٍ شديدٍ .

وأخذَ يدعُوهُمْ إلَى الإيمَان باللهِ الواحدِ الأحدِ الخالقِ ، وينهاهُمْ عَنْ عبادَةِ الأصْنامِ الَّتى لا تنفعُ ولاَ تضُرُّ .

صرخَ أبُو لَهَبٍ : تبًّا لكَ سائرَ اليومِ .. ألِهَذَا جمَعْتَنَا ؟

فأنزَلَ اللهُ تعالَى : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)** ﴾ [المسد]

لَمْ يَيْأَسِ النبيُّ ﷺ منْ دَعْوَتِه قومَهُ ، فكَانَ يدعُوهُمْ عِنْدَ الكعبَةِ ، وفِى الأسوَاقِ ، وفِى كُلِّ مكانٍ .

أعرضَ المشركُونَ عَنِ النبيِّ ﷺ واشْتَكَوْا إلَى عَمِّهِ أبِى طَالبٍ ، وهَدَّدُوهُ فَبَعَثَ إلَيْهِ وَقَالَ لَهُ :

يا ابْنَ أخِي ، إنَّ قومَكَ قَدْ جاءُونِي فقالُوا لِي كذَا وكذَا فأبْقِ علَيَّ وَعَلَى نفسكَ ، ولا تُحمِّلْنِي منَ الأمْرِ مَا لاَ أُطِيقُ.

قالَ الرسولُ ﷺ : « يا عَمِّ . وَاللهِ لَوْ وضعُوا الشمسَ فِي يمِينِي ، والقمرَ فِي يسَارِي عَلَى أنْ أترُكَ هَذَا الأمرَ حَتَى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ» ، وبَكَى النبيُّ ﷺ ، فقالَ أبُو طالبٍ :

اذْهَبْ يَا ابْنَ أخِي فَقُلْ ما أحْبَبْتَ ، فَوَاللهِ لاَ أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا .

واصلَ النبيُّ ﷺ دعوتَهُ وآمنَ بِهِ عَدَدٌ قليلٌ فاغتاظَ المشرِكُونَ ورجَعُوا إِلَى أبِي طالبٍ ، وقالُوا لَهُ :

هذَا عُمَارَةُ بنُ الوليدِ ، وهُوَ أقْوَى وأجملُ فَتىً فِي قريشٍ .. خُذْهُ واتَّخِذْهُ ولدًا لكَ ، وأسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أخِيكَ هَذَا الذِي خَالَفَ دِينَ آبَائِكَ فنقْضِي عليهِ .

غَضِبَ أبُو طالبٍ وصرَخَ فِي القَومِ : أتُعطُونَنِي ابنَكُمْ أربِّيهِ لَكُمْ ، وأعطِيكُمْ ابْنِي تقتُلُونَهُ .. هَذَا وَاللهِ ما لاَ يكُونُ أبدًا .

دَعا النبيُّ ﷺ عَمهُ أبَا طالبٍ إِلَى الإسْلاَم ، فقَالَ : إِنِّي لاَ أستَطِيعُ أَنْ أُفَارِقَ دِينَ آبَائِي ومَا كَانُوا علَيْهِ ، ولكِنْ لَنْ يؤذِيكَ أحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا .

إيذاءُ النبيِّ ﷺ

اشتدَّ الغضبُ بمشركي مكّةَ منَ النبيِّ ﷺ ، فاتَّهموهُ بالكذبِ والسِّحْرِ والجنُونِ وتعرَّضُوا لهُ بالإيذاءِ ، وبينما كانَ النبيُّ ﷺ يُصلِّي في حِجْرِ الكَعْبَةِ إذْ لفَّ أحدُهُمْ ثوْبًا حولَ عُنقِه ، وأرادَ أنْ يخنقَهُ ، فدفعَهُ أبُو بكرٍ وقالَ : أتقتلُونَ رجُلاً يقولُ : ربِّيَ اللهُ ؟ !

وكانتْ زوجَةُ أبِي لَهَبٍ ترْمِي الشَّوْكَ فِي طريقِه وعلَى بابِه وتعرَّضَ لَهُ أبُو جَهْلٍ يومًا فشتَمهُ وآذاهُ .

وطَارَ الخَبرُ إلَى حمزَةَ بنِ عبد المطَّلب عمِّ النبيِّ ﷺ ، فقصدَ أبَا جَهْلٍ وضربَهُ بقَوْسِهِ علَى رأسِهِ بقُوَّةٍ وقالَ - ولَمْ يكُنْ قدْ أسْلَمَ بعْدُ :

أتَشْتُمُهُ وأنَا علَى دِينِه أقولُ مَا يقُولُ ؟ فَرُدَّ ذلكَ علىَّ إنِ استطَعْتَ .

قالَ أبُو جهلٍ لأصْحَابِه : دعُوهُ فإنِّي واللهِ قدْ سَبَبْتُ ابنَ أخيهِ سَبًّا قبيحًا .

وأسرَعَ حمزَةُ إلَى النبيِّ ﷺ يُعْلِنُ إسْلامَهُ ، وانتَشَرَ الخَبرُ في قريشٍ كالصَّاعِقَةِ علَى رءُوسِ المشركِينَ .

اجتمعَ زعماءُ قريشٍ معَ النبيِّ ﷺ وعَرَضُوا عليه الأموالَ

والمُلْكَ علَى أنْ يتـركَ دينَهُ ، فـقـالَ الرَّسـولُ ﷺ : « ما بِى مَـا تقـولُونَ ، ما جئْتُ بما جئتكُمْ به أطلُبُ أموالَكُمْ ولاَ الشَّرَفَ فيكُمْ ولاَ المُلْكَ عليكُمْ ، ولكنَّ اللهَ بَعَثنِى إلَيْكُمْ رسُولاً وأنزلَ علَىَّ كتابًا وأمَـرنِى أنْ أكُـونَ لكُمْ بَشِـيرًا ونـذيرًا ، فَـبَلَّغْـتُكُمْ رسـالاَتِ ربِّى ونَصـحْتُ لكُمْ فإنْ تقبلُوا مَـا جئـتُكُمْ بِهِ فَـهُـوَ حَظُّكُم فِى الدُّنْيَـا والآخـرةِ ، وإنْ تَرُدُّوهُ علَىَّ أصْـبِـرُ لأمْـرِ اللهِ حـتَّى يحكُمَ اللهُ بينِى وبينَكُمْ ».

قالُوا : يَا محـمدُ ، سَلْ رَبَّكَ الذى بَعَثكَ بمَا بَعَثكَ بـه فَلْيُـسيِّرْ عنَّا هذه الجِـبَـالَ التى قـدْ ضـيَّـقَـتْ علينـا ، ولْيـبْـسُطْ لنَا بلادَنَا ، وليفَـجِّـرْ لنَا فـيهَا أنْهَـارًا كأنـهَارِ الشَّامِ والعراقِ ، وليبـعَثْ لنَا من مضَى مِنْ آبائنَا وليكُنْ فيمَنْ يُبْعثْ لنَا منهُمْ قُصىُّ بن كلابٍ ، فإنَّهُ كـانَ شَـيْخَ صِـدقٍ فنَسْألَهُمْ عـمَّـا تقـولُ ، أحقٌّ هُو أمْ باطِلٌ ؟ فإنْ صَدقُوكَ وصنعْتَ ما سألنَاكَ صدَّقْناكَ .. سَلْ ربكَ فليجَعلْ لنَا جنَانًا وقُصُورًا وكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وفضةٍ يغنيكَ عمَّا نراكَ تَبْتغى.

قالَ الرسولُ ﷺ : « ما أنَا بفَاعلٍ ، ومَا أنَا بالذى يسألُ ربَّهُ هذَا ومَـا بُعـثْتُ إليكُـم بِهَـذَا ، ولكنَّ اللـهَ بعَـثنِى بشِـيرًا ونـذِيرًا ، فـإنْ

تقبلُوا ما جئتكُمْ بِهِ فهُوَ حَظُّكُمْ مِن الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تردُّوهُ عليَّ أصبِرْ لأمْرِ اللهِ حتَّى يحكُمَ اللهُ بينِي وبينكُمْ ».

قالَ المشركُونَ فِي عنادٍ وتَحدٍّ : فأسْقطْ علينَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا زَعمْتَ أنَّ رَبَّكَ إنْ شَاءَ فَعلَ ، فإنَّا لا نؤمِنُ لكَ إلاَّ أنْ تفعلَ ذلِكَ .

قالَ الرَّسولُ ﷺ : « ذلِكَ إلَى اللهِ ، إنْ شاءَ أنْ يفعلَهُ بكُمْ فَعلَ». صاحَ القومُ : إنَّا واللهِ لا نتركُكَ ، ومَا بَلغْتَ حتَّى نُهْلِكَكَ أوْ تُهلِكَنَا .

انصرفَ النبيُّ ﷺ حزينًا مِنْ عنادِ قومِهِ وكفرِهِمْ ، وانتَهى الأمرُ بأنْ أعلَن مشركُو مكَّةَ مقاطَعَةَ النبيِّ ﷺ وأهلَهُ وعدَمَ التعامُلِ معهُمْ فِي البيعِ والشِّراءِ والزَّواجِ ، وكتبُوا ذلِكَ فِي صحيفةٍ وعلَّقُوهَا فِي الكعبةِ .

خرجَ النبيُّ ﷺ يومًا يطوفُ بالكعْبةِ ، فاعترضَهُ بعضُ المشركِينَ وقالُوا لَهُ : يَا محمدُ ، هَلُمَّ فلتعبُدْ مَا نَعبُدُ .. وتعبُدُ ما نعبُدُ فنشترِكُ نحنُ وأنتَ فِي الأمْرِ فأنزلَ اللهُ تعالَى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**

﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾

[الكافرون]

وكَانَ كُلَّما دَعا النبيُّ ﷺ قومًا خَلفهُ النضرُ بن الحارِث ، وقالَ لهُمْ : أنَا واللهِ يا معْشرَ قريشٍ أحْسَنُ حَديثًا منه ، ثُمَّ يُحدِّثهُمْ عنْ مُلُوكِ العَجَم وقصصِ وأسَاطيرِ السابقِينَ ، لمْ ييأسِ النبيُّ ﷺ منْ دعوةِ قومِهِ وتحمَّلَ الإيذاءَ والعُزْلَةَ فِي صَبْرٍ جميلٍ.

الهِجْرةُ إلَى الحَبشَة

انقَضَّ كفارُ مكَّةَ عَلى المسلمينَ ، وصَبُّوا عليهمُ العذَابَ ، ووثبَتْ كلُّ قبيلَةٍ علَى مَنْ أسْلَمَ فيهَا بالضَّرب والحرمَانِ منَ الطعامِ والشَّرابِ ، ووضعَ بعضُهُمْ صخرةً عظيمةً فوقَ صَدْرِ بلاَلِ بن رَباحٍ فِي شدةِ الحرِّ ، فتحمَّلَ الصَّخْرةَ والرِّمالَ الملتهبَةَ التِى وضعُوهُ فَوْقَها وظَلَّ يُردِّدُ : أَحَدٌ أحَدٌ.

ألقَتْ بنُو مخزُوم بعَمَّارِ بنِ ياسرٍ وأبَويْهِ فِى الصَّحراءِ وقتَ الظهيرَةِ ، فاكتوتْ أجسَادُهُمْ بالرِّمَالِ المتأجِّجَةِ بأشعَّةِ الشمسِ الحارِقَةِ.

اشَتدَّ الإيذَاءُ بالمسلمينَ ، فقالَ الرَّسولُ ﷺ لَهُمْ : لو خرَجتُمْ إلَى أَرضِ الحَبشَةِ ، فإنَّ بهَا ملكًا لا يُظلَمُ عندهُ أحَدٌ وهي أرضُ صدْقٍ حتَّى يجعلَ اللهُ لكُمْ فرجًا ممَّا أنتُمْ فيه .

انطَلقَ بعضُ المسلمينَ إلَى الحَبشَةِ سرًّا فرحَّبَ بِهم ملكُهَا النَّجَاشيُّ - وكانَ نصْرانيًّا - وهَيَّأَ لهُمْ مكَانًا يُقيمُونَ فيه ، ويَعْبُدُونَ اللهَ دُونَ إيذَاءٍ ، لَكن قريشًا أرسَلتْ إلَى النَّجاشيِّ هَدايَا عَظيمةً ، وطَالبتْهُ بتَسْليمِ المسلمين إليهِمْ .

ردَّ مَلكُ الحَبشَةِ هَدايَا قريشٍ ، ورَفضَ تنفيذَ رغبتِهِمْ ، وأمَّنَ المسلمينَ علَى أنفُسِهِمْ ودِينِهمْ .

اغتَاظَ المشركُونَ ممَّا حدثَ ، وخرجَ عُمرُ بنُ الخطَّاب - قبلَ أنْ يُسْلِمَ - شَاهرًا سيفَهُ يُريدُ قتْلَ الرَّسولِ ﷺ ، وفي الطريقِ عَرفَ بخبرِ إسلاَمِ أختِهِ فاطمةَ وزوجِهَا ، اشتدَّ غَضبُ عُمرَ واقتحَمَ بيتَ أختِهِ وكَانَتْ تقرَأُ جزءًا منْ سُورَةِ (طه) .. رَفع عمرُ يدهُ ولَطمَ أخْتهُ علَى وجهِها بقسْوَةٍ ، وبعدَ قليلٍ هدأَتْ نَفْسُهُ فَأمْسَك بصحيفَةِ القرآنِ - بعدَ أنِ اغتَسلَ - وقرأَ بعضَ الآيَاتِ ، فقالَ : ما أحْسنَ هذَا الكَلامَ وأكْرَمَهُ !

وأحسَّ بنورِ الإيمَانِ يَغْمُرُ صدرَهُ ، فأسْرَعَ إلَى النبيِّ ﷺ ، وأسْلَمَ بينَ يدَيْهِ ، ثُم طَرقَ بابَ أَبِى جَهْلٍ ، وأخبَرهُ بإسْلامه ليَغيظَهُ .